40 - إن ا لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما .

- 41 - فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا .

- 42 - يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون ا حديثا .

يخبر جل ثناؤه عباده بأنه سيوفيهم أجورهم ولا يظلم خلقه يوم القيامة مثقال حبة خردل ولا مثقال ذرة بل يوفيها له ويضاعفها له إن كانت حسنة كما قال تعالى : { ونضع الموازين القسط } الآية وقال تعالى مخبرا عن لقمان : أنه قال : { يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها ا } الآية وقال تعالى : { فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره } وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم في حديث الشفاعة الطويل وفيه : " يقول ا D ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه من النار " وفي لفظ : أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه من النار " فيخرجون خلقا كثيرا " ثم يقول أبو سعيد : اقرأوا إن شئتم { إن ا لا يظلم مثقال ذرة } الآية وقال ابن أبي حاتم قال عبد ا بن مسعود : يؤتى بالعبد أو الامة يوم القيامة فينادي مناد على رؤوس الأولين الآخرين : هذا فلان بن فلان من كان له حق فليأت إلى حقه فتفرح المرأة أن يكون لها الحق على أبيها أو أمها أو أخيها أو زوجها ثم قرأ : { فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون } فيغفر ا من حقه ما يشاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئا فينصب للناس فيقول ائتوا إلى الناس حقوقهم فيقول : يا رب فنيت الدنيا من أين أوتيهم حقوقهم ؟ فيقول : خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر مظلمته فإن كان وليا ففضل له مثقال ذرة ضاعفها ا له حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ علينا : { إن ا لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها } وإن كان عبدا شقيا . قال الملك : رب فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول : خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ثم صكوا له صكا إلى النار ورواه ابن جرير ولبعض هذا الاثر شاهد في الحديث الصحيح . وروي عن سعيد بن جبير في قوله : { وإن تك حسنة يضاعفها } فأما المشرك فيخفف عنه الذاب يوم القيامة ولا يخرج من النار أبدا وقد يستدل له بالحديث الصحيح : أن العباس قال يا رسول ا : إن عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعته بشيء ؟ قال : نعم هو في ضحضاح من نار ولوال أن لكان في الدرك الأسفل من النار وقد يكون هذا خاصا بأبي طالب من دون الكفار بدليل ما رواه أنس أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : " إن ا لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم

بها في الدنيا فإذا كان يوم القيامة لم يكن له حسنة " (أخرجه مسلم من حديث أنس) وقال الحن وقتادة : { ويؤت من لدنه أجرا عظيما } يعني الجنة نسال ا رضاه والجنة وروى ابن أبي حاتم عن أبي عثمان قال قلت : يا أبا هريرة سمعت إخواني بالبصرة يزعمون أنك تقول : سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : " إن ا يجزي بالحسنة ألف ألف حسنة " فقال أبو هريرة : وا بل سمعت نبي ا صلى ا عليه وسلّم يقول : " إن ا يجزي بالحسنة ألفي ألف حسنة " ثم تلا هذه الآية : { وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل } وقوله تعالى : { فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا } يقول تعالى مخبرا عن هول يوم القيامة وشدة أمره وشأنه فكيف يكون الأمر والحال يوم القيامة حين يجيء من كل أمة بشهيد يعني الأنبياء عليهم السلام كما قال تعالى : { وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء } الآية . وقال تعالى : { ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم } الآية . روى البخاري عن عبد ا بن مسعود قال : قال لي رسول ا صلى ا عليه وسلّم : " اقرأ علي " فقلت : يا رسول ا آقرا عليك وعليك أنزل ؟ " قال : نعم إني أحب أن أسمعه من غيري " فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية : { فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا } ؟ فقال : " حسبك الآن " فإذا عيناه تذرفان .

وقوله تعالى : { يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون ا حديثا } أي لو انشقت وبلعتهم مما يرون من أهوال الموقف وما يحل بهم من الخزي والفضيحة والتوبيخ كقوله : { يوم ينظر المرء ما قدمت يداه } الآية . وقوله : { ولا يكتمون ا حديثا } إخبار عنهم بأنهم يعترفون بجميع ما فعلوه ولا يكتمون منه شيئا عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال له : سمعت ا D يقول - يعني أخبارا عن المشركين يوم القيامة - إنهم قالوا : { وا ربنا ما كنا مشركين } وقال في الآية الأخرى { ولا يكتمون ا حديثا } فقال ابن عباس : أما قوله { وا ربنا ما كنا مشركين } فإنهم لما رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا : تعالوا فلنجحد فقالوا : { وا ربنا ما كنا مشركين } فختم ا على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم { ولا يكتمون ا حديثا } (أخرجه ابن جرير) وقال عبد الرزاق عن سعيد بن جبير قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : أشياء تختلف علي في القرآن قال ما هو أشك في القرآن ؟ قال : ليس هو بالشك ولكن اختلاف قال : فهات ما اختلف عليك من ذلك قال أسمع ا يقول : { ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وا ربنا ما كنا مشركين } وقال : { ولا يكتمون ا حديثا } فقد كتموا فقال ابن عباس : أما قوله { ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وا ربنا ما كنا مشركين } فإنهم لما رأووا يوم القيامة أن ا لا يغفر إلا لأهل الإسلام ويغفر الذنوب ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره ولا يغفر شركا جحد المشركون فقالوا : { وا ربنا ما كنا مشركين } رجاء أن يغفر لهم فختم ا على أفواههم وتكلمت

أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعلمون فعند ذلك { يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا } .

وقال الضحاك : إن نافع بن الأزرق أتى ابن عباس فقال : يا ابن عباس قول الله تعالى { يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا } وقوله : { والله ربنا ما كنا مشركين } فقال له ابن عباس : إني أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت ألقي على ابن عباس متشابه القرآن فإذا رجعت إليهم فأخبرهم : أن الله تعالى يجمع الناس يوم القياة في بقيع واحد فيقول المشركون : إن الله لا يقبل من أحد شيئا إلا ممن وحده فيقولون تعالوا نجحد فيسالهم فيقولون : { والله ربنا ما كنا مشركين } فعند ذلك يتمنون لو أن الأرض سويت لهم { ولا يكتمون الله حديثا } (أخرجه ابن جرير عن الضحاك)